العمر والنوع في الثقافة

يمكن تميز الثقافة الفرعية في أي مجتمع من المجتمعات من خلال مجموعة من المحددات مثل العمر، والعرق، والطبقة الاجتماعية، والمنطقة الجغرافية أو الموقع الجغرافي، أو النوع أو الجنس. ولعل الصفات والسمات التي يمكن أن تجعل هذا النوع من التميز واضحاً قد يكون لغوياً أو دينياً، أو سياسياً، أو جغرافياً، وفي الثقافة الفرعية نجد أن هناك سلوكاً رمزياً بين أفراد الجماعة هو الذي يحدد مثل هذه الثقافة الفرعية داخل المجتمع .

لقد اختصت الأنثروبولوجيا بالتركيز علي المراحل العمرية للإنسان، وكذلك نوعه ذكراً كان أم أنثي باعتبار أن كل مرحلة عمرية يمر بها الإنسان ذكراً كان أم أنثي فهي تحمل معها خصائص ثقافية محددة ومميزة تميزه عن الآخر. فالذكور لهم مجتمعهم الخاص، وبالتالي فهم لهم ثقافتهم الخاصة، ومجتمع الإناث كذلك لهم ثقافتهم الخاصة. فلكل منهم خصائصه ليست الفيزيقية فحسب، إنما خصائصه الثقافية أيضاً، والتي تختلف باختلاف الثقافة وإطارها العام. وفي المقابل فإن هناك خصائص ثقافية محددة لكل مرحلة عمرية وتجعلها ذات طابع ثقافي مميز عن الثقافة الأخرى.

إن الاستخدام المميز لمفهوم "الثقافة" في الأنثروبولوجيا هو ما جعلها تنطلق من تحديد هذه الخصائص لكل مرحلة عمرية، ولكل جنس ذكراً كان أم أنثى. ولقد حظيت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بالتركيز المباشر والكبير علي هذه الشرائح الاجتماعية بحكم كونها تشكل بحد ذاتها ثقافات فرعية لها أطرها الخاصة داخل أي مجتمع من المجتمعات.

فقد عنيت العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بالتركيز علي الشرائح العمرية المختلفة بحكم كونها منطلقات بحثية بطابع ثقافي مميز عن غيرها من الثقافات الأخرى. وقد شكلت كل شرحية اجتماعية ما يسمي بالنمط الثقافي المحدد والذي سوف يتم تناوله في السطور القادمة والتي بدورها تشكل الثقافة العامة في كل مجتمع علي حدة.

أنماط الثقافة العمرية والنوعية:-

ويقصد بأنماط الثقافة العمرية والنوعية أي الخصائص المشتركة التي تتميز بها كل شرحية عمرية محددة عن الأخرى أو بالتميز النوعي (الذكور عن الإناث) عن بعضهما بعض. فالنوع أو جنس الإنسان هو ثقافة بحد ذاته، والمراحل العمرية المختلفة سواء أكانت طفولة أو مراهقة وشيخوخة هي أيضاً ثقافات فرعية محددة داخل أي مجتمع عن المجتمعات. **ويمكن تصنيف الأنماط الثقافية بنمطين:**

أولا، نمط الثقافة العمرية.

ثانيا، نمط ثقافة النوع.

ويمكن عرضهما بشيء من التفصيل من خلال السطور القادمة.

أولاً، نمط الثقافة العمرية:

وهي تلك المراحل العمرية المحددة التي يمر بها الإنسان، وتتشكل من خلالها مجموعة من الخصائص الثقافية التي تميز هذه المرحلة عن الأخرى. ونجد أن في هذه المراحل العمرية كثير من الممارسات الثقافية تتميز بها مرحلة محددة تختلف ثقافياً من المرحلة الأخرى. فكل مرحلة

عمرية يمر بها الإنسان تتميز بنمط ثقافي محدد. وينتقل الإنسان في مراحل حياته العمرية من محطة ثقافية إلي أخرى. وهذه المراحل العمرية تكون واضحة ومميزة لدى أفراد المجتمع. ولعل في هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان تختلف في تعريفها وذلك حسب الهدف من عملية التعريف والتحديد. فالتربويين، والفسيولوجيين، والمختصين في الشئون النفسية والنمو، والاجتماعيين كل له تعريفه الخاص بالمراحل العمرية، أو ما يسمي بمراحل نمو الإنسان. فمنهم من يصنف هذه المراحل حسب العمر، ومنهم حسب المرحلة التعليمية، ومنهم حسب مراحل النمو، أو حتى حسب الحياة الاجتماعية كان تسمي مثلاً الطفولة الاجتماعية لمن يعتمد علي الأسرة في رعاية شئونه حتى لو بلغ من العمر أبعد من مرحلة الطفولة المعروفة. والتربويون كذلك يصنفوها حسب المراحل الدراسة وهكذا. فالتصنيفات العمرية مختلفة. ولكن ما يهمنا هنا بأن لكل مرحلة عمرية كانت بعض الخصائص الثقافية المحددة. ولذلك فإن هذه المراحل العمرية باختلافها شكلت ثقافات فرعية داخل الثقافة الأم أو الثقافة العامة للمجتمع. وهي بذلك أصبحت أحد مقومات الثقافة الكلية ومكوناتها.

هذه المراحل العمرية لها ثقافة محددة، وترتبط بمستويات ثقافية تميز كل مرحلة عن أخرى. وهو ما أطلق عليه البعض بالمستويات العمرية والتي ربطها بالثقافةAge Grades. وقد شهدت بعض المجموعات السكانية حدوداً عمرية قاطعه بين كل مرحلة عن الأخرى. ففي أحد المجتمعات الرعوية البدائية في شرق أفريقيا وبالتحديد من أثيوبيا شمالاً إلي تنزانيا جنوباً، تقوم المراحل العمرية بدور هام ومميز في البناء الاجتماعي. فلدي هذا المجتمع نظام يقسم المراحل العمرية إلي سبعة مستويات في حياة الرجل تحديداً لارتباطه بموضوع العمل. ومدة كل مرحلة من هذه المراحل خمس عشرة سنة. ويبدأ سكان هذه المناطق بالتميز بينهم حسب المرحلة العمرية لكل فئة من المراحل العمرية. وهي مقسمة في النهاية إلي سبع فئات، أي سبع مراحل عمرية تبدأ من سن الخامس عشر وما دون، وتنتهي بسن مائة وخمسة.

ولقد أطلق العديد من الباحثين مفهوم الثقافة الفرعية على المراحل العمرية واعتبروها كثقافة فرعية داخل المجتمع. ويشير هيدج Hebdige (1979) في نظريته إلى أن الأفراد في كل ثقافة فرعية لهم عضوية معينة يحددونها من خلال رمزية خيارات ملموسة ومرتبطة بسلوك يقومون به وهي التي تجعل لهم ثقافة فرعية داخل المجتمع.

<u>وعلية فإن في مجتمعاتنا المعاصرة يمكن تميز مجموعة من الثقافات العمرية المحددة، والتي يمكن تقسيمها حسب الآتي:</u>

1- ثقافة الطفل:

للطفل ثقافة، وهي المرحلة العمرية الأولى التي تنتقل إليه ثقافة مجتمعة من خلال أسرته وعائلته والمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه. وهذه المرحلة هي مرحلة التشكيل الثقافي الأول من خلال ما تسمى عملية التنشئة الاجتماعية. وهذا ما يجعل الكثير من المفاهيم الثقافية العامة تنتقل إلي الطفل في هذه المرحلة. فهي المرحلة الأولي من حياة الإنسان، وهي بالتالي تشكل مرحلة ثقافية لها خصائصها.

تعرف منظمة الأمم المتحدة الطفل بالمرحلة العمرية لما قبل سن الثامنة عشر. وكذلك جاءت كثير من القوانين الوضعية لتحدد هذا العمر وتعتبره سن الطفولة. وبغض النظر عن المراحل العمرية المختلفة التي تمتد من مرحلة المهد إلي ما يسمى بالطفولة المبكرة أو الوسطى أو

المتأخرة والمراهقة، فإن الطفل في سنواته الأولى يشكل مرحلة ثقافية محددة وهامة، ويشكل مرحلة أخرى في مراحله المتأخرة اللاحقة والتي ترتبط بمرحلة المراهقة. وكل مرحلة من مراحل الطفولة لها ارتباط ببعض الخصائص الجسمانية والبيولوجية بدءً من مرحلة ما بعد الولادة والرضاعة، وإلي الطفولة التي تبدأ ما بعد 2.9 سنه (وهي بعد انتهاء النمو البيولوجي السريعة في المرحلة الأولى) ومرحلة ما يسمى الحدث التي تبدأ في سن السابعة وتنتهي بالمراهقة والتي تختلف من الذكور إلي الإناث (والتي يمكن أن تصنف من 10-18 للإناث، و12-21 سنه للذكور)

ولعل هذه المراحل العمرية- باستثناء المراحل العمرية ما قبل اكتساب المؤثرات الثقافية من المجتمع، وهي مرحلة ما بعد الرضاعة- تتميز بأن لها ثقافة سائدة داخل المجتمع تجعله يختلف عن بقية الشرائح، ويختلف أيضاً عن الشرائح العمرية المشابهة له في مجتمعات وثقافات أخرى. بالإضافة إلي ذلك، فإن ثقافته عرضه لعملية التغير الاجتماعي والثقافي وتختلف أدواره عما كانت عليه في السابق. فمن المعروف أن هذه المراحل العمرية كانت لها أدواراً اجتماعية في المجتمع التقليدي تختلف بشكل كبير عن دوره في المجتمع المعاصر. فهي عملية تتعرض للتغيرات الاجتماعية ارتباطاً بالظروف المحيطة.

فثقافة الطفل لها خصائص محددة في استخدام اللغة والتعابير اللغوية والتي نجدها مختلفة عن الشرائح العمرية الأخرى من خلال مجموعة من المركبات والتعبيرات اللفظية السائدة في هذه الثقافة. وتتميز بخصائص التقليد للكبار سواء للرجال أو النساء في مراحل عمرية محددة. فنجد الطفل كثيراً ما يسلك سلوكاً محدداً يقلد فيه أبوية أو أحدهما، وتنعكس أيضاً ثقافة الطفل علي طريقة الأكل وطرق اللبس وأساليبها، وكذلك تميزها بمجموعة من المهارات أو الخصائص المحددة مثل مهارات ألعاب الكمبيوتر والتقنيات ووسائل الترفية. وكذلك عدم وضع الاعتبارات الاجتماعية في تكوين العلاقات والتفاعل مع الآخرين سواء أكان من ناحية الجنس، أو الأصل أو العرق أو غيرها من الاعتبارات الاجتماعية والتي قد تزداد إدراكاً مع تقدم العمر. وعلي الرغم من إشارة بعض الدراسات إلي أن هناك ميل للأطفال من تكوين صدقات مع نفس الجنس والعرق

إلا أن ذلك قد يكون ناشئاً عن عوامل لا ترتبط بهما شخصيا. فقد يكون تأثير الأبوين، أو المدرسة، أو الجيرة التي تلزم تكوين هذا النوع من العلاقات.

2- ثقافة الشباب:

للشباب ثقافة أيضاً، وقد تميزهم هذه الثقافة عن الآخرين وعن طريف مجموعة من الخصائص الثقافية التي ترتبط بهذه الشريحة. وهناك من يمزج بين شريحة الشباب والمراهقين Adolescence and Youth، ولكن قد يكون لكل شريحة من هذه الشرائح بعض الخصائص الثقافية التي تميزها عن الشريحة الأخرى، وذلك بحكم عوامل هامة مثل الخصائص الفسيولوجية لكل منها، واكتمال النمو، وكذلك التأثر بالمجتمع الخارجي بمعطياته المختلفة سواء أكان الإعلام، أو المدرسة، أو الجامعة أو مراحل التعليم ما بعد الثانوي الذي يختلف باختلاف هاتين المرحلتين وتشكلان من خلالهما ثقافة ذات طابع خاص. فهي مؤثرات تقوم بدور هام في عملية تشكيل الشخصية، وتأثر هذه الشخصية بالجوانب الثقافية للفرد.

وفي المقابل فإن ثقافة الشباب تختلف من مجتمع لآخر وفقاً لهذه المعطيات، وحتى وإن كانت متقاربة في جوانب متعددة. فثقافة الشباب على سبيل المثال في الولايات المتحدة الأمريكية، تختلف عنها في بريطانيا، وكندا كما أوضحها مايكل Michal (1985) في دراسته ومقارنته لهذه المجتمعات الثلاثة. فهي مجتمعات متشابهه تقريباً في كثير من الخصائص. ولكن علي الرغم من ذلك، هناك خصوصيات ثقافيه لكل مجتمع على حدة جعل من هذا الاختلاف ينسحب أيضاً علي شريحة الشباب وأصبحت لهم ثقافة محددة ومختلفة عن الشرائح الأخرى. هذا بالإضافة إلي أن ثقافة الشباب في الوقت الراهن في مجتمع محدد تختلف أيضاً عن تلك الثقافة في المجتمع التقليدي. وقد يكون أبرز مثال مباشر هو المقارنة ما بين الشباب في المجتمع المحلي التقليدي، والمجتمع المعاصر من حيث دوره، وعلاقاته، وطرق تفاعله مع الآخرين، وإسهامه داخل الأسرة وموقعه في وسائل الإنتاج المختلفة. وقد تعرضت هذه الثقافة الفرعية إلي تغيرات متعددة مزجت بين مرحلتين الكبار بالشباب أو بمراحل الطفولة المتأخرة كما نسميها قي الوقت الراهن.

إن نجد ثقافة الشباب والمراهقين تتميز بمجموعة من الخصائص الثقافية. فهم يتميزون داخل المجتمع بلهجة أو لكنه محددة مثلاً يمكن تميزها، وهم لديهم زيّ مميز قد يكون في كثير من الأحيان مختلف تماماً عن بقية شرائح المجتمع، قد تكون لهم أيضاً مجموعة محددة من الأغاني والموسيقي التي يسمعونها أو يتفاعلون معها، وقد يكون لهم أيضاً مجموعة من المأكولات التي يعتادون على تناولها، أو أماكن محددة يرتادونها بشكل أكثر والبحث عن أخر المستجدات، واختيار محدد لسيارات مثلاً معينة. وكثيراً ما نسمع في مواقفنا اليومية ما يسمى باللبس الشبابي، أو السيارة الشبابية، أو حتى الأغنية أو الموضة وغيرها التي تعكس هوية محددة.

وقد تكون مرحلة الشباب تحديداً تحمل تشكيل لهوية الفرد داخل المجتمع. فبعد المرحلة الثانوية والدخول إلي مرحلة التعليم العالي أو ما بعد الثانوي، نجد أن الشاب يبدأ بتكوين هويته الشخصية، وتحديد انتماءه الفكري، وقد يدافع عنه بقوة، وتصل في كثير من الأوقات إلي أن يعبر عنه بطريقة انفعالية. فالاندفاعية، والصراع، والعنف، وتكوين الشخصية الفكرية، وتبني الرموز وإتباعها قد تكون من أهم مراحل هذه الشريحة العمرية.

وقد تزداد أهمية وبروز هذه الخصائص داخل المجتمع بعوامل متعددة قد يكون أهمها عدد هذه الشريحة داخل المجتمع. فالعدد الكبير لهذه الشريحة يزيد من تأثيرها، ويزيد من تحديد ملامح خاصة بها. وكذلك موضوع قدرة الشباب تحديداً باستخدام مهاراتهم الاستكشافية في التواصل مع ثقافات مختلقة قد تكون غربية أجنبية من خلال وسائل تكنولوجية متقدمة يسهل من عملية التأثير المباشر في هذه الشريحة خصوصاً إذا أدركنا خصائصها الاجتماعية والنفسية العامة. أن هذه المرحلة العمرية أي الشباب هي مرحلة انتقال من حياة المدرسة إلي الحياة العامة، والمجتمع بتأثيراته المفتوحة وما يعرضه من قيم وأفكار واتجاهات قد تؤثر بشكل مباشر في هذه المرحلة العمرية تحديداً.

ولعل ذلك ما يذهب علية أصحاب الاتجاه الوظيفي في مجالي علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلي رأسهم بارسونز الذي انطلق باتجاهه النظري الذي يشير إلي أن الفرد عندما ينتقل من نموذج سلوكي محدد إلي آخر. والذي يضرب علية مثال الانتقال من نموذج أو نظام الأسرة إلي مؤسسات المجتمع المختلفة. فإنه سوف يكسب من خلال ذلك بعض القيم الأخرى المختلفة عما كان متعوداً عليه. فالانتقال من الأسرة ونظامها إلي أنظمه أخري مثل نظام العمل سيولد العديد من المشاعر المختلفة نتيجة لقيم متعددة، فقد يتولد شعور بعدم السعادة، أو الفرحة، أو الوحدة،

والتي تؤدي في كثير من الأحيان إلي ما يسمى بالأنومي anomie (اللامعيادية) (Parsons, 1964) وهذا الانتقال هو الذي يصادف هذه الشريحة العمرية تحديداً فيصبح لديها العديد من التناقضات التي تكتشفها وتتعرض لها من خلال البدء في الاحتكاك بمؤسسات المجتمع المختلفة، والتي في النهاية تعبر عن ثقافة تتعرض لما يسمى بالتناقضات القيمة، وهي التي تميز هذه المرحلة تحديداً.

ولا بد من الإشارة إلي أن هناك ثقافة أيضاً للمراهقين كما تمت الإشارة. وقد سميت عند البعض ثقافة المرحلة الثانوية، أو الثقافة الفرعية لطلاب المرحلة الثانوية High School Subculture وخصائصهم الثقافية في الغالب مشتركة من حيث السلوك، والمعتقدات، وتكوين بعض التجمعات المشتركة، واللبس الموحد، والخروج إلي التسوق بشكل جماعي وغيرها من السلوكيات. وقد يكون أغلبهم من أبناء حي واحد أو منطقة سكنية قريبة يمكن تواصلهم بشكل مباشر حتى خارج أوقات المدرسة، ولديهم شبكة علاقات اجتماعية مع آخرين.

ولعل أبرز ما يميز هذه المرحلة أيضاً كما يصفها تانر Tanner بأنها تحمل طابع الصراع بين الرسمية وجماعة الإقران الرسمية بحكم أنهم من طلاب المدرسة وأنها تنتمي إلي مجتمع نظامي يؤدون أدواراً والتزامات محددة، بالإضافة إلي حكم كونهم مراهقين ينتمون إلي جماعة الأقران في علاقات غير رسمية. فالإدرار المطلوبة منهم في المدرسة هي الالتزام، والطاعة، واحترام قيم المدرسة وتقيد الحركة وغيرها، بينما طبيعة المراهقين في هذه المرحلة العمرية هي العكس. وهذا ما يجعل لهم ثقافة فرعية محددة داخل المجتمع، وينضمون إلي جماعات متجانسة نسبياً، ويحملون أفكاراً موحدة اتجاه قضايا ترفيهية في الغالب. فهو نمط ثقافي خاص داخل المجتمع.

3- ثقافة الكبار(الراشدين):

يقصد هنا بثقافة الكبار بالبالغين من الجنسين، ومن هم في مرحلة عمرية ما بعد فترة الشباب إلي ما قبل فترة الشيخوخة أو كبار السن أي ما قبل المرحلة العمرية المقاربة للستين عاماً. وعموماً، ويمكن اعتبارها ثقافياً هي المرحلة العمرية التي تبدأ من بعد ما يسمى سن الرجولة أو الشباب المبكر Young Adult، والتي يحددها أريكسون (Erikson 1950) بين سن العشرين والأربعين، إلي مرحلة ما قبل ظهور علامات الشيخوخة أو كما تحدد بواسطة منظمة الصحة العلمية على أنها مع بداية الستين عاماً.

ولعل المقصود أيضاً بثقافة الكبار هنا هو انعكاس لثقافة المجتمع نفسه. فهذه الشريحة هي التي تحمل فكر، وثقافة، واتجاه، ورأي، ونظرة المجتمع إلي الأشياء. فتتشكل شخصية الفرد وتكون هي الشريحة المنتجة داخل المجتمع، وهي الشريحة التي تقود كذلك هذا المجتمع. فتتعدد في هذه الشريحة عدة خصائص مثل الانتماء الواضح لتيار فكري محدد أو مستقل، والدور الإنتاجي داخل المجتمع، والبناء والتعمير، وضوح بارز لمفاهيم الطبقة الاجتماعية، وهي المسئولة كذلك عن التربية والتنشئة الاجتماعية، وهي المسئولة عن التوجيه السياسي، والاقتصادي والإسلامي والديني ورسم السياسات الخاصة بها، ونمو المسئولية الاجتماعية تجاه الغير وغيرها من القضايا التي تجعل من هذه الفئة هي الفئة المنتجة داخل المجتمع، والتي تحدد وترسم هويته. فهي مرحلة اكتمال النضج العقلي والنفسي والبدني. فهذه الشريحة هي الشريحة التي تربط بين فئتي الشباب وكبار السن، وهي التي تشكل ثقافة المجتمع بشكل عام، وهي أيضاً التي تبرز من خلالها الثقافات الفرعية داخل المجتمع وذلك من خلال عملية الانتماء للطائفة أو الطبقة، أو العائلة أو القبلية أو المستوى الفكري.

أن المؤثرات الثقافية تجعل من هذه الفئة ذات خصوصية في كثير من الأمور. فعلى مستوى الشخصية، فنجد أن هناك اختلاف في نمط الشخصية عن الفئات الأخرى، وكذلك الحال بالنسبة للتأثر ببعض الأعراض النفسية. فقلق الموت، علي سبيل المثال، يختلف في هذه الشريحة عن الشرائح العمرية الأخرى، وقد أوضحت عدد من الدراسات هذا الاختلاف

ولكن مجموع الضغوط الاجتماعية والنفسية التي تواجهها هذه الشريحة من واقع الثقافة المحيطة تعد أكبر، وذلك بحكم انخراطها المباشر بمسئوليات العمل، والتفاعل مع المجتمع وعناصره المختلة. فهناك العديد من الضغوط الاجتماعية والنفسية يواجهها الفرد في المجتمع الحديث، والتي تولد العديد من الأعراض الصحية سواء أكانت جسدية أو نفسية، ونجد أن هذه الشريحة تتأثر بهذه الضغوط بشكل أكبر بحكم مسئولياتها في العمل، وتكوين المقدرات المادية للأسرة، والمسئولية عن الأبناء، والكبار في كثير من الأحيان.

ولعل هذه المرحلة العمرية يتعرض من خلالها الإنسان للعديد من المؤثرات المجتمعية. فقد يتعرض لمشكلات خاصة بالعمل، وقد يتعرض لبعض المشكلات الأسرية مع الزوج أو الزوجة، وكذلك تربية الأبناء والمسئولية عنهم، ووفاة أحد الأبوين أو كلاهما وغيرها من المشكلات المحيطة. فهم يشتركون في مجموعة من المشكلات الاجتماعية الضاغطة بحكم انتمائهم لثقافة محددة فرعية داخل المجتمع الأكبر.

وقد ظهر مفهوم ما يسمى بأزمة منتصف العمر Midlife Crisis الذي ابتدعن إليوت جاكس (Elliott Jaques 1965) لوصف حالة كثير من الأفراد الذين يقعون في هذه المرحلة إزاء التأثيرات الخارجية التي تصيبهم ببعض من الإشكاليات وتؤثر بشكل كبير على وضعهم النفسي وكذلك الصحي. ولقد عدد جاك العديد من الأحداث التي يمكن أن تسبب الأزمة، ولكن ربط هذه الإحداث بالمجتمع الغربي كمثال (انظر: King, 2006). ومن الطبيعي أن تكون هناك اختلافات بين الذكور والإناث في هذه المرحلة العمرية في درجة وقوة تأثير الأحداث واختلافها، والتي تنسحب في النهاية عليهم. إن هذه المرحلة العمرية تتأثر بمجموعة من الخصائص الثقافية، وفي الوقت نفسه تشكل مجتمعاً ثقافياً محدداً داخل المجتمع الأكبر له خصوصيته، وسماته الثقافية.

4- ثقافة المسنين/كبار السن:

كما سبقت الإشارة، فإن تحديد المرحلة العمرية لهذه الشريحة قد حددتها منظمه الصحة العالمية بسنين عاماً، وهي تلك المرحلة التي تتميز بمجموعة من السمات الثقافية المحددة باختلاف الوضع الصحي والمرحلة العمرية التي يتميز بها. فكبير السن أو المسن كما نفهمه بالثقافة هو ذلك الشخص الذي عاصر جيلين على الأقل، وشهد تغيرات اجتماعية ثقافية، ومرت علية تجارب حياتية متعددة أكسبته الخبرة الحياتية كما ينظر إلية أفراد المجتمع، وتميز هذه الشريحة كذلك بحمل منظومة قيمة متوازنة مستمدة من ماضي يفخر دائماً أبناء المجتمع به. وهذه النظرة بلا شك لا تنطبق أو تختص علي مجتمع دون الأخر، إنما علي كافه المجتمعات. فالنظر إلي الماضي يعني ثقافياً النظر إلي الأصالة، وإلي البعد القيمي المثالي لأي مجتمع من المجتمعات. فدائما يلاحظ المرء في أي مجتمع من المجتمعات يميل إلى الحديث عن الماضي ويشتاق إليه، مهما كانت قسوته. فالمنظومة القيمية التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية مهما كانت طبيعتها، هي بلا شك تشكل قضية رمزية يشعر الفرد داخل المجتمع بالحنين لها. ولذلك فقد جسد المسن أو كبير السن هذه المرحلة الزمنية وجسد الماضي، فتجسدت معه نظرة ثقافية

مميزة خاصة به. وقد شكل المسن من خلال هذه المفاهيم التي تم بناءها حول الماضي ثقافة فرعية مميزة داخل أي مجتمع من المجتمعات. فمن هم المسنين؟ وما هي أبرز خصائص الثقافية؟ وما هي ممارساتهم اليومية؟ وما هي طبية حياتهم الاجتماعية؟ ومع من يتصلون في علاقاتهم الاجتماعية؟ وما يحملون من أفكار وآراء ومعتقدات؟ وما هو دورهم داخل المجتمع؟ كل ذلك وغيره يرجع إلي تكوين خصوصية ثقافية محددة داخل أي مجتمع من المجتمعات.

وعند الحديث عن موضوع الثقافة الفرعية الخاص بكبار السن أو المسنين، فإنه لا بد من الإشارة إلى الأعمال الأولى التي تمت في هذا المجال، والتي تمثلت في أعمال أرنولد روز Arnold Rose (1965) والتي أشارت إلي المنطلق النظري الذي حدد فئة أو شريحة المسنين بأنهم ثقافة فرعية داخل أي مجتمع. فقد أنطلق روز من ثقافة المجتمع الأمريكي، والذي أشار إلى أن تشابه كبار السن في بعض الخصائص شكل ثقافة فرعية داخل المجتمع، والتي تختلف بطريقة تفاعلها عن الآخرين. وقد حدد روز مجموعة من الاتجاهات التي حدثت وأثرت في أن تجعلهم أساساً ثقافية مميزة كما يشير إليها روز والتي يمكن تحديدها بالآتي :

1- النمو الذي شهدته هذه الشريحة في العدد ونسبتهم إلي مجمل السكان.

2- التطور في الصحة العامة للأشخاص الذين تجاوزوا سن الخامسة والستين عاماً جعلهم أكثر قدره في خلق ثقافة فرعية داخل المجتمع.

3- بسبب التطور الصحي، بدأت ظهور أعراض صحية مزمنة متشابهة، والتي تسمى بالأمراض العصرية المزمنة مما جعلهم يتشابهون في هذه الأعراض والتكاليف الخاصة بها.

4- التشابه في حالات من العزلة أو الانفصال عن المجتمع بعد التقاعد عن العمل تحديداً، وكذلك تركه الأعمال في المجتمعات التقليدية المعتاد عملها.

وبطبيعة الحال فإن الوضع قد يكون مختلفاً بخصوص المسن في الوقت الراهن فيما يتعلق بالبند الرابع، وذلك لأن المسن ومفهومه قد اختلف عما كان علية. فهناك من المسنين حالياً من لم يعمل في مجتمعات تقليدية. وهو أمر مردة إلي التغير الاجتماعي والثقافي الذي أدى دوره في هذه القضية. فاشتراك مجموعة من الأفراد بمجموعه من الاهتمامات والمشكلات، والهموم وتكوين جماعات قائمة على الصداقة تولد الشعور بالانتماء والذي بدورة يخلق هذه الثقافة الفرعية.

وفي اتجاه مشابه يرى أصحاب ما يسمي بالنظرية الثقافية الفرعية Subculture Theory of Aging إلي أن هذه الثقافة الفرعية نشأت نتيجة إلى عملية صراع ثقافي داخل المجتمع. فالمسن يعاني من فقدان للقوة الاجتماعية التي يتنافس فيها مع الآخرين من نفس المجتمع والذين يستخدمون الموارد المتاحة نفسها داخل هذا المجتمع، ولذلك فهم ينضمون إلي بعضهم بعضا بتشابه في خلفياتهم، وخبراتهم، وقيمهم، ومعتقداتهم وطرق حياتهم. وتفترض هذه النظرية إلي أن كبار السن يقيمون حدود شعورية مع الآخرين ومن هم في سن مختلف عنهم، في مقابل تعزيز الانتماء بينهم والتي تجعل هذا الانتماء يتسم برابطه اجتماعية قد تفقدها، أي روابط اجتماعية أخرى بين الأفراد داخل المجتمع. وهناك أيضاً يقابل هذه النظرية نظرية التفاعل الحيوي Activity Theory. فتتحدد هنا هويته الاجتماعية داخل المجتمع من خلال ما يسمى التفاعل الرمزي بينه وبين من هم في عمره ومع الآخرين. فكلما زادت عزلته عن أفراد

المجتمع، كلما شعر بالانتماء إلي شريحته. ومن المعروف أن التفاعل الاجتماعي ووجود دور اجتماعي للمسن داخل المجتمع يزيد من مقدار الثقة بالنفس، ويزيد مقدار الرضا عن الحياة .

ففي جميع المجتمعات نجد هذه الشريحة الاجتماعية تمثل رمزية خاصة تحيط بها وتشكل كيانها. ففي المجتمعات العربية بشكل عام، والمجتمعات الخليجية بشكل خاص، فإن هذه الشريحة تلاقي الاحترام المناسب، ولها القدر من المكانة الاجتماعية، وتحتل أعلي السلم الاجتماعي في المكانة الاجتماعية. فقد حافظت هذه الشريحة الاجتماعية علي مكانتها الاجتماعية، ولكنها نتيجة لعوامل متعددة، فقد فقدت جزء من دورها الإنتاجي داخل المجتمع. فبعد أن كان كبير السن المتمثل بالجد هو المسئول عن العملية الإنتاجية في المجتمعات التقليدية بحكم أنه هو أب الأسرة، والمسيطر علي ما يعرف بالأسرة الممتدة، أصبح دوره يتصف بالهشاشة في العلمية الإنتاجية داخل المجتمع المعاصر نتيجة لعمليات التحديث التي ارتبطت بنوعية وطبيعة الأعمال المعاصرة، وعملية التقاعد عن العمل، وما يسمى بالتقاعد المبكر، ولا سيما في مجتمعاتنا المحلية. فانخفض دور المسن وكبير السن داخل المجتمع، ولكن لم تنخفض مكانته الاجتماعية وظلت كما كانت علية، وهي صورة ترتبط على سرعة التغيرات في الجانب المادي، والبطء الذي يوازيها في الجانب اللامادي والمتعلق بالقيم والأفكار والمعتقدات. فهذه القيم والمعتقدات والأفكار تجاه كبير السن لا زالت موجودة، وتشكل جزءً من ثقافة المجتمع.

ثانياً: نمط ثقافة النوع:

النوع أو الجنس هما الذكر والأنثى. فلهذين النمطين الفيزيقيين ثقافة فرعية داخل المجتمع. إن الاختلاف الفيزيقي للذكور والإناث تعتبر اختلافات ثقافية داخل المجتمع. والاختلاف الفيزيقي بدورة هو الذي انشأ مجموعة من الأدوار الاجتماعية المختلفة للذكور والإناث كل علي حدة. ففي كل مجتمع هناك ثقافة للذكور، وأخرى خاصة بالإناث. وحسب التقسيم الثقافي، والثقافات الفرعية، فإن هذه الثقافة الفرعية تشكل أحد أبرز الثقافات الموجودة في المجتمعات الإنسانية.

وكما سبقت الإشارة، فإن حدوث مثل هذه الثقافة مرتبط بشكل أساسي بالاختلافات الفيزيقية والفسيولوجية بين الجنسين، وهو عكس العالم الحيواني والذي تتشابه فيه كثير من الحيوانات بالصفات والخصائص الجسمانية كما يشير أمبر وأمبر (Ember & Ember 1990). فالذكر يختلف من ناحية الحجم والمظهر عن الأنثى. وقد حددا إمبر وإمبر مجموعة من الفروق الجسمانية الفسيولوجية والفيزيقية بين النوعين والتي أبرزها بالآتي :

1- الذكور في الغالب أكثر طولاً من الإناث.
2- الهيكل العظمي عند الرجال أكثر وزناً.
3- حجم الحوض عند المرأة أكثر اتساعاً.
4- عضلات الجسم عند الرجال أكبر وزناً.
5- الإناث لديهم أكبر كمية من الدهون في الجسم.
6- الذكور لديهم أكثر قوة في قبض الأشياء.

7- حجم القلب والرئتين بشكل نسبي أكبر عند الرجال.

8- القصبة الهوائية عند الذكور أكثر فعالية في العمل، وهي المرتبطة بسحب الأوكسجين خلال التمارين الرياضية.

هذه تعد من أبرز الاختلافات التي تم تحديدها، والتي يمكن أن ترجع إلي عملية ما يسمي بالانتخاب الطبيعي والتي من الممكن أن تكون قد أحدثت مثل هذه الاختلافات بين الجنسين

فالأدوار التي يقوم بها الإنسان ذكراً كان أم أنثي في المجتمعات المتعددة والتي تعتمد علي نمط إنتاجي محدد، قد تكون من أبرز العوامل التي أحدثت هذه الفروق بين الجنسين. أن هذه الفروق الجسدية والفسيولوجية قد أحدثت تفاعلاً مختلفاً مع البيئة ومع الطبيعة التي تحيط بالإنسان، والتي في نهاية المطاف أدت إلي وجود ثقافة فرعية هامة ورئيسة داخل المجتمع. ولعل الاختلافات بين الذكور والإناث لا تقتصر علي الجانب الجسدي الفيزيقي فقط، إنما تمتد أيضاً إلي الجانب النفسي. وهذه الاختلافات مرهونة بجوانب ثقافية وبيئية. فالثقافة والمعطيات البيئية مسئولة عن هذه الاختلافات، حيث أن من يعاني مثلاً من الذكور في مجتمع ما من بعض الأعراض النفسية، وتكون معدلاته أعلى في هذا المجتمع من الإناث، قد يكون العكس في مجتمع آخر، وهو الأمر الذي يفسر الاختلافات الثقافية وتأثيرها علي شخصية الفرد سواء الذكور أو الإناث. ولقد تعددت الدراسات التي ناقشت مثل هذه الاختلافات في المجتمعات المختلفة وهي متنوعة ومتعددة من حيث التنوع في الخصائص النفسية. وقد يكون من أبرز الاختلافات بين الجنسين في الجوانب النفسية والتي تختلف باختلاف الثقافة، هي تلك التي تسمى بأكبر خمس سمات للشخصية The Big Five Personality Traits، والذي استمدت كمفهوم قولدبيرج (Goldberg 1993) من خلال دراسة ميدانية حدد من خلالها أبرز خمسة سمات شخصية تتمثل في الآتي:

1- العصابية Neuroticism: وهي الاتجاه نحو إظهار بعض العواطف غير السارة مثل القلق، والاكتئاب، والغضب.

2- الانبساطية Extroversion: وهي الميل إلي التحفيز ومشاركة الآخرين.

3- القبولية Agreeableness: وهو الاتجاه أو الميل نحو التعاون مع الآخرين في إطار الوئام الاجتماعي والاستعداد لتقديم التنازلات للآخرين.

4- الاجتهاد:Conscientiousness وهي الميل لضبط النفس، والعمل بإخلاص.

5- الانفتاح:Openness وهي الانفتاح علي التجربة، وتعني أيضاً التقدير للفن والعاطفة، والمغامرة، والوصول إلي أفكار غير عادية والخيال والفضول.

هذه السمات الخمس الكبرى للشخصية كما تسمى تخضع لضوابط ثقافية وتختلف باختلاف المجتمعات. فكثير من الدراسات أوضحت الخلافات بين الذكور والإناث في هذه الشخصية، وكذلك ارتبطت أيضاً بمراحل عمرية بالاختلافات بين الجنسين في مراحل عمرية محددة من عمر الإنسان. فالثقافة قد تكون مسئوله عن أحداث مثل هذه الاختلافات بين الجنسين في أي مجتمع من المجتمعات. ولا يمكن أن يتم فهم الاختلافات في السلوك وفي الملامح الشخصية بين الجنسين ما لم يتم فهم للمعطيات الثقافية التي تشكل وتحدد ملامح الشخصية والسلوك الإنساني في ظل المجتمع الذي يعيش فيه.

النوع والدور الاجتماعي:

لكل من الذكور والإناث أدواراً محددة يقوموا بها في المجتمع. وهناك أدوار عامة، وهناك في المقابل أدوارا خاصة لكل مجتمع علي حدة. فهناك تشابه وتمايز ثقافي في الأدوار الاجتماعية بين الذكور والإناث سواء في المجتمع نفسه أو بين المجتمعات الإنسانية المختلفة. ولعل النشاط الاقتصادي ووسائل الإنتاج السائدة هي التي تحدد الأدوار الاجتماعية لكل من الذكور والإناث. فتقسيم العمل قضية مرتبطة بشكل كبير بتقسيم الأدوار الاجتماعية لكافة أفراد المجتمع، ويظهر التمايز بشكل واضح بين الذكور والإناث في هذا التقسيم. وعلي حد زعم إمبر وإمبر (Ember & Ember 1990) إلي أنه على الرغم من أن تقسيم العمل بين الجنسين قد يكون في كثير من الأحيان متشابه بين الذكور والإناث أي أنهم يؤدون نفس الأعمال، إلا أن هناك اتجاهاً أو نموذجاً عالمياً أو ما يقرب من العالمية كما يسمى بتقسيم العمل بين الجنسين، وأن هناك اختلافات بينهما. فقد أوضحا نماذج متعددة للأدوار المحددة للذكور، والأدوار الأخرى لمحددة للإناث، وأخرى متشابه ومشتركه بين الاثنين من خلال عرضهما لمجموعة من المجتمعات الإنسانية. ويطرحان من خلالها تساؤلاً يفيد بأن هنا التنوع في الأنشطة وتقسيم العمل واضح في المجتمعات الإنسانية، ولكن ما الذي يجعل مثل هذا التقسيم بارز؟ وما الذي يدفع إلي وجوده؟ وما الذي يجعل الذكور يتميزون بتقسيم عمل مختلف عن الإناث في هذا المجتمع؟.

لقد تم وضع مجموعة من التفسيرات الخاصة بهذا الموضوع، وانطلقت عدة فرضيات تحاول إيجاد تفسير ثقافي للاختلافات بين الذكور والإناث في تقسيم العمل أو في أدوارهم الاجتماعية داخل محيط المجتمع الذي يعيشون فيه. أخذت بعض من النظريات المفسرة لهذا الاختلاف والتي يمكن عرضها واختصارها بالآتي :

1- نظرية القوة Strength Theory:

وهي نظرية أو منطلق فطري يعتمد علي القوة الجسدية والاختلافات الجسدية بين النوعين والتي تعتبر هي الأساس الذي جعل هناك تميزاً في الأدوار الاجتماعية وتقسيم العمل. فالعمل الذي يتطلب مجهوداً عضلياً مثل عملية الصيد للحيوانات الكبيرة، أو الجزارة، أو العمل مع الحجارة، أو الحديد، أو الخشب تحتاج إلى قوة عضلية، فهي موجودة عن الرجال دون النساء. ولكن هذه النظرية لم تقدم تفسير لبعض الملاحظات. فلم تقدم تفسيراً مثلاً لماذا بعض الذكور يلجأ إلي بعض الأعمال التي لا تتطلب القوة مثل ما هو موجود في بعض المجتمعات الزراعية من قيام الرجل بجمع العسل، أو صناعة المزامير التي لا تحتاج إلي قوة عضلية. فالتفسير المبني علي القوة الجسدية لا يمكن أن يفسر الوضع بشكل عام، إلا انه قد يعطي تحليلاً لاتجاه بعض الرجال لنوع محدد للأعمال.

2- نظرية التوافق مع رعاية الطفل Compatibility With-Child-Care Theory:

وهي تنطلق من الفرضية الخاصة بأن الإناث هن من يقمن برعاية الطفل وهي مسئوليتهن الرئيسة من خلال عملية الرضاعة لمدة عامين علي أكثر الأحوال. فوجود الأم مع الطفل لأداء هذا المهمة قد يمنعها من القيام بأعمال أخرى. فعلى سبيل المثال في المجتمعات الرعوية والزراعية، هناك صعوبة أن تترك الأم رضيعها وتذهب إلي أماكن بعيدة. هذا بالإضافة إلي وضع المرأة نتيجة لأعراض الحمل، وما بعد الولادة. وهي قضية مرتبطة بما يسمي الاقتصاد من الجهد Economy of Effort، حيث أن الأم التي تكون في المنزل قريبة من أطفالها،

سيكون أكثر اقتصاداً للجهد في أن تقوم بالأعمال المحيطة بها وبالمنزل من أن تقوم بأعمال أخرى في بعض المجتمعات الزراعية والرعوية.

3- نظرية القدرة علي الإنتاج Expendability Theory:

وهذه النظرية تقوم علي أن الرجل وليس المرأة يقوم بالأعمال الخطرة داخل المجتمع وذلك بحكم إنه يعتبر أكثر طبيعة استهلاكية عل المجتمع من المرأة. بمعنى أن المرأة أكثر أهمية في عملية الإنتاج الإنساني، والولادة للنسل الجديد من الأفراد. فطبيعة المجتمعات تحكم في أن المرأة هي الأهم في عملية الاستمرارية البشرية بحكم أنها هي من تحمل الجنين في بطنها، وبإمكانها أن تتزوج من أكثر من رجل بعد وفاته في أكثر المجتمعات. ففقدان المرآة أكثر ضرراً من خسارة الرجل على المجتمع. ولذلك فإن الرجل من الممكن أن يعمل في المهن الشاقة، والتي قد تؤدي بحياته أو تعرضها للخطر. فطبيعة الذكر والأنثى الفسيولوجية هي التي خلفت مثل هذا الاتجاه نمو أعمال لا تقوم بها المرأة. مثل تلك الأعمال الخطرة التي يقوم بها في مجتمعات الصيد، والتي تتطلب بعض الجهد العنيف كالعمل في المواد الحديدية والبناء، والطرق والمناجم وغيرها. فتنطلق هذه النظرية القدرة علي الإنتاج الإنساني واختلاف الدورين.

لعل هذه النظريات التي قد تم تحديدها قد تفسر بعض الواقع الاجتماعي المرتبط بتقسيم الأدوار. فهي قد تفسر مثلاً في مجتمعاتنا المحلية اتجاه كثير من الأثاث إلي مهن محددة مثل التعليم، والرعاية الاجتماعية علي سبيل المثال، وذلك لارتباط ذلك بعملية التربية للطفل، وتهذيب السلوك الإنساني. وهذا قد يفسر لنا أيضاً أن القوة الجسدية قد تمنع أو تبعد كثير من النساء في العمل بمجالات عمل تتطلب جهداً عضلياً. وإن كان ذلك الموضوع يتفاوت من مجتمع إلي آخر، إلا أنه حتى في المجتمعات التي يتساوى فيها الرجل مع المرأة في كثير من الأعمال وتشترك فيه معه، إلا أنه لا زالت الغلبة والأكثرية من الأعمال الشاقة والتي تحتاج إلي جهد بدني وعضلي هي من أعمال الرجال وتعتبر أكثر انتشاراً بينهم. بل حتى أعمال التعليم والتربية والرعاية نجدها تتجه نحو الإناث بشكل أكبر من الرجال كثير من المجتمعات وذلك لارتباطها بالطبيعة التي تميز بين الذكر والأنثى.

<u>ولعل عملية التميز بين الذكور والإناث في الأعمال ترتبط بشكل كبير بالعديد من الاعتبارات الثقافية، والتي يمكن أن يتم تلخيصها وتوضيحها بالآتي:</u>

1- نظرة المجتمع للأعمال نفسها وطبيعتها، وما هي النظرة القيمية التي يحملها المجتمع عن هذه الأعمال.

2- نظرة المجتمع نفسه للمرأة أو الرجل علي حد سواء وتحديد دورها في إطار الثقافة.

3- توفر العمل وإتاحته للجنسين في المجتمع.

4- العامل الاقتصادي كالفقر الذي يمكن أن يؤدي إلي إجبار الفئات الاجتماعية علي العمل ببعض الأعمال دون الأخرى.

5- طبيعة المجتمع نفسه أن كان زراعياً، أو رعوياً، أو صناعياً، أو بحرياً، أو صحراوياً، أو سهلياً. فجميعها مجتمعات تفرض أنواع محددة من الأعمال قد تختلف في عملية توزيعها وفقاً للنوع.

6- فرض بعض الإجراءات والقوانين والعادات الاجتماعية التي تمنع أو تسمح القيام ببعض الأعمال.

7- التمايز الثقافي والثقافات الفرعية التي تحدد مجموعة من الأعمال لفئات وشرائح محددة دون الأخرى كالعرق، والطبقة الاجتماعية، والفئات العمرية والمناطق الجغرافية وغيرها.

الدور الاجتماعي للنوع في المجتمعات الإنسانية:

تمارس المجتمعات الإنسانية التي أنشطة اقتصادية محددة وتعتمد علي وسائل أنتاج مختلفة. وقد مرت علي المجتمعات الإنسانية العديد من هذه الأنشطة، والتي تختلف فيها طبيعة المجتمع بعلاقاته وتفاعلاته والنهاية ثقافته. فوسائل الإنتاج المختلفة أفرزت أنماطاً سلوكية محددة، ارتبطت مع طبيعة الإنتاج الاقتصادي. ولعل من أهم هذه الإفرازات السلوكية هي الاختلاف بين الذكور والإناث في الدور الاجتماعي الخاص بتقسيم العمل. فالنشاط الاقتصادي الذي يتأثر بالبيئة الطبيعية، قد أفرز سلوكاً اجتماعيا خاصاً، ومن أنماط هذا السلوك هو وجود دور اجتماعي ثقافي خاص بتقسيم العمل لكل من الذكور والإناث في كل مجتمع من هذه المجتمعات الإنسانية علي مر التاريخ وبمر العصور المختلفة بدء بمجتمع الجمع والالتقاط إلي المجتمع المعاصر. وهذه الأدوار تختلف من مجتمع لأخر ومن ثقافة لأخرى.

لقد قام كوتاك (Kottak 2005) بجمع وتحديد الأدوار الاجتماعية للجنسين في العديد من المجتمعات الإنسانية، وقد ميز بين كل دور عن الآخر، وتقسيم العمل الخاص به في وسائل الإنتاج المختلفة والخاص بكل مجتمع. وقد حدد هذه الأدوار في مجتمعات ما يسمى بالمجتمع الذي يعتمد علي الأعلاف، ومجتمع البساتين والحدائق، ومجتمع الرعاة، والمجتمع الزراعي، والمجتمع الصناعي. وقد كشف عن تفاوت في الأدوار الاجتماعية لكل مجتمع علي حدة واختلاف المهام الموكلة لكل من الذكر والأنثى من حيث الشدة والقوة، ومن حيث طبيعة العمل والتي قد تختلف من نظام لآخر. وفي المقابل يشير ناندا (Nanda 1991) إلي أن هناك سمة تعتبر عالمية عند كافة المجتمعات الإنسانية، وهي تلك التي تتمثل في رعاية الطفل الرضيع الذي يكون من أبرز مهام الأم، وذلك بحكم ارتباط ذلك بالجانب الفيزيقي الخاص بها من عملية حمل، ورضاعة، ورعاية .

وبشكل عام يمكن عرض أبرز الأدوار الاجتماعية في العمل وتقسيمه في المجتمعات الإنسانية التي تمت الإشارة إليها وذلك للاسترشاد في نوع العمل وطبيعته ومدى مناسبته، وملائمته وبلاغته للذكور أو الإناث، وكذلك لمعرفة وتميز مدى التفاوت في الأدوار داخل هذه المجتمعات بحكم البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها، والتي أثرت علي السلوك الإنساني، ومنها تحديد أدوار اجتماعية محددة للجنسين وهي جميعها يمكن إبرازها بالآتي:

1- مجتمع الجمع والالتقاط Foraging Society:

وهي مجتمعات ما قبل الزراعية والتي تعتمد بشكل مباشر في توفير قوتها علي ما تحتويه البيئة من موارد طبيعية، من خلال عملية صيد الحيوانات، والتقاط المنتجات الزراعية المتوفرة في الطبيعة. وتقسيم العمل هنا يعود إلي أن الذكور هم من يقوم بعملية صيد الحيوانات وبالتحديد الحيوانات الكبيرة، بينما تقوم الإناث بجمع النباتات القريبة من مقر السكن. وتقوم في بعض الأحيان الإناث بعملية قيادة الحيوانات إلي المنطقة المطلوبة، ولكن عملية القتل تتم بواسطة

الرجال. وكذلك بعض المجتمعات يشترك الرجال مع النساء في عملية جمع الحبوب، وصيد السمك.

2- مجتمع البساتين Horticultural Society:

هذا المجتمع يعيش فيه الإنسان من خلال زراعة محاصيل زراعية في حدائق صغيرة بدلاً من الاعتماد علي مواد الطبيعة الغذائية دون استخدام للوسائل التكنولوجية. في هذا المجتمع هناك تميز واضح في عملية تقسيم العمل بين الذكور والإناث. فالرجال هي من مهمتهم في هذا المجتمع ما يسمى بتطهير وتنظيف الأراضي من خلال قطع الأشجار وجعلها صالحة للاستخدام وزراعة بعض الحدائق. وهو أمر قد يفرض نزاعات تصل إلي الحرب مع الآخرين الذين يلتصقون بحدودهم مع مواقع حدائقهم، وهي التي تعتبر من مهام الرجال الذكور في هذا المجتمع. هذا بالإضافة إلي أن هذا المجتمع يتطلب صيد بعض الطرائد، والتي تعتبر أيضاً من مهمة الذكور في هذا المجتمع. وتبقي مهام الزراعة نفسها، والحصاد، وحمل الإنتاج عملية مشتركة بين الجنسين، الذكور والإناث. فالتقسيم الواضح والرئيس هو أن الذكور مهمتهم تنحصر فيما يسمي بتطهير الأرض، والذكور والإناث للأعمال الزراعية. وقد تكون مهمة الإناث عملية زراعة المواد الغذائية، والرجال القيام بعملية الزراعة المواد الغذائية للتبادل مع الآخرين. كما يحدث في أحد مجتمعات نيوغينيا حيث أن المرآة تقوم بزراعة البطاطا الحلوة والتي تعتبر الغذاء الرئيسي للإنسان والخنازير في هذه المنطقة، بينما الرجل يقوم بزراعة السكر، والموز، والقلقاس لعملية التبادل التجاري. وكذلك في هذا المجتمع، فإن الرجال هم المسئولون عن عملية الصيد بشكل عام، وصيد السمك في البحر، والنساء مسئولون عن صيد بعض الأسماك الصغيرة، وصيد الحيوانات الصغيرة ليس كحال الرجل. وكذلك من مسئوليات المرأة الاعتناء بالحيوانات كالخنازير غير الوحشية، أما رعي الماشية والخراف، والأغنام فهي من مهمة الرجال والأولاد. وفيما يتعلق بعملية التغذية وطبخ الطعام فهي مهمة صعبة. فطحن الحبوب وهرس المحاصيل ونقل الطعام من الحقل إلي البيت من مهمة النساء، ولكن تحضير الطعام للمناسبات هي في الغالب من مهمة الرجال.

3- مجتمع الرعاة Pastoralists Society:

وهي تلك المجتمعات التي تعتمد علي الرعي، وهي في الغالب تعتبر مجتمعات بدائية أو تعتمد علي الترحل والترحال. وكثير من هذه المجتمعات تعتمد أيضاً علي التقنيات الزراعية البسيطة. ولعل من أبرز مهام الرجال في هذا المجتمع هو القيام بعملية الرعي نفسها، بالإضافة إلي القيام بعملية حرث الأراضي إذا كانت قابلة للزراعة. وتقوم المرأة ببعض الأعمال الزراعية البسيطة، والامتهان ببعض الحرف اليدوية البسيطة، وكذلك تحمل الحطب والماء. ويكون الرجل هو المسيطر علي الأرض الخاصة بالمجتمع أو الأسرة، ولا تملك ذلك المرأة وكذلك فهي لا تملك الثروة الحيوانية التي هي في حيازة الرجل.

4- المجتمع الزراعي Agricultural Society:

وهو المجتمع الذي يعتمد علي الزراعة أساساً للنشاط الاقتصادي. ولزيارة الإنتاج الزراعي، فإن هناك حاجة إلي مزيد من الجهد بين الرجل والمرأة في هذا المجتمع للعمل في الحقل الزراعي. وفي استخدام التقنيات الزراعية الجديدة، فإن من مهام الرجل هي عملية الحرث وذلك لاتساع المساحة الزراعية، ويتطلب ذلك القوة الجسدية في هذه العملية، وتقوم المرأة في هذا

المجتمع بعملية الري. في المجتمعات الزراعية البدائية، انقطعت المرأة من عملية الإنتاج الزراعي. فقد أعطي نظام المعتقدات الخاص في المجتمعات الزراعية البدائية صورة أدني للمرأة في المجال الزراعي، وأعطي القوة للرجل. وكذلك التغير في نمط الإقامة، ونظام القرابة أيضاً أصاب المرأة بالأمر نفسه من الصورة الدونية. فنظام تعدد الزوجات مثلاً، والاتجاه نحو الأسرة النواة، وابتعاد المرأة عن قريباتها. ولقد أدى تدني مشاركة المرأة في الإنتاج الزراعي إلي انخفاض مكانتها. فالرجل هنا هو المسيطر علي الإنتاج، والمرأة ارتبطت بشكل كبير في المنزل. ونتيجة لذلك أصبحت المرأة أكثر سيطرة علي المنزل وشئونه، والرجل علي شئون الإنتاج. ولقد كشفت البيانات والمصادر الأثنوجرافية والمقارنة بشكل عام إلي أن المرأة كانت مساهمة في عملية الإنتاج بشكل أساسي في 50 % في مجتمع البساتين، ولكنها في المجتمع الزراعي تشارك بنسبة 15% فقط. ولا شك أن ذلك يختلف من مجتمع لآخر، ولا يمنع بأن ليس للمرأة دور، إنما قد يكون دورها في إنتاج المحاصيل بشكل مباشر منخفضة بمقارنة مع الرجل.

5- المجتمع الصناعي Society Industrial:

والمجتمع الصناعي يشير إلي تلك المجتمعات ذات البناء الاجتماعي الحديث، وهي التي تعتمد علي التصنيع كأساس لعملية الإنتاج. فهي المجتمعات المتحضرة، والتي مرت عليها عمليات التحديث. ودور الذكر والرجل هنا قد يكون مختلفاً. فقد أحدثت التغيرات الصناعية تغيراً في الأدوار الاجتماعية بشكل كبير وبالتحديد دور المرأة الذي جاء تغيراً سريعاً. ففي نهاية القرن التاسع عشر، أنتهي مفهوم أن مكانة عمل المرأة هو المنزل في المجتمع الغربي. فمع بداية الاقتصاد الصناعي، فإن الاتجاه نحو المرأة بدأ بالتغير. ففي بداية التصنيع في أوربا، بدأ الرجل والمرأة والأبناء بالتوافد علي المصانع للعمل. وخلال فترة 1890، أكثر من مليون امرأة أمريكية انخرطت في مجال العمل الذي لا يحتاج إلي مهارة. فحاجة المصانع إلي عمالة متعددة جعلت الكثير ينخرط في هذه الأعمال وترك المنزل. فتوفرت كثير من الأعمال التي تحتاج إلي من يسد العجز فيها. ولقد زاد حجم العمل للمرأة أيضاً بعد اندلاع الحرب العلمية الأولي في عام 1914 وانضمام كثير من الرجال في القتال، وكذلك وفاة العديد منهم في المجتمع الغربي والذي جعل من حاجة المرأة تزيد وكذلك الحال بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وزادت معها أجور المرأة. فكانت الثقافة الأمريكية تعد مهن مثل التدريس، والتمريض هي مهن النساء، ولكن بعد الثورة الصناعية، أصبح هناك تشابه في العمل والحاجة إليه وتحديداً بعد الحرب العالمية الثانية. ولعل من المؤشرات الإحصائية الهامة في المجتمع الأمريكي أن 30% فقط من النساء المتزوجات كان يعملن في عام 1960، وارتفع ذلك ليصل إلى 51% عام 1982. وهذا الوضع ينعكس بشكل كبير علي بقية دول العالم الصناعية، واثر بشكل كبير علي الدول التي تواصلت معها.

ولعل الملاحظ من خلال ذلك كله أن الاختلافات في توزيع الأدوار الاجتماعية يرتبط حسب المجتمع وطبيعة نشاطه الاقتصادي ووسائل إنتاجه كما تحت الإشارة. فالنشاط الاقتصادي يفرض أدواراً محددة، ومكانات اجتماعية هي انعكاسات لهذه الأدوار. فالسيطرة في مقابل الخضوع، والقوة في مقابل الضعف في التأثير، والملكية في مقابل عدم الملكية جميعها تحددها الأوضاع الاقتصادية ونشاط الإنتاج السائد والأدوار الاجتماعية الموجودة فيه.

كما يشير إليها محمد الرميحي (1995)، فإننا لو انطلقنا في عرض لواقع المجتمعات المحلية التقليدية لوجدنا أن هناك ثلاثة مجتمعات تعتمد علي أنشطة وإنتاج اقتصادي محدد تتمثل في

نمط الإنتاج الرعوي، ونمط الإنتاج الزراعي، ونمط الإنتاج البحري وصيد الأسماك. فهذه المجتمعات الثلاثة اختلفت فيها الأدوار الاجتماعية بالنسبة للذكور والإناث. هنا بالإضافة إلي أن هذه الأدوار كانت واضحة ومحددة، وكان تقسيم العمل محدد بشكل واضح ومميز. فالرجل في المجتمع الرعوي هو من يرعى الماشية والإبل والتي تتطلب خروجه من وقت مبكر والتنقل من مكان إلي آخر، والرجل في هذا المجتمع هو من يخوض الحروب ويعقد المفاوضات، والاتفاقات والمرأة في المقابل مسئولة عن المنزل وتربية الأطفال والعمل ببعض الحرف البسيطة، وإعداد الطعام. وفي المجتمع الزراعي يكون الرجل هو من يقوم بعملية الحرث، والزراعة، والأعمال التي تتطلب الجهد العضلي، وتقوم المرأة بتربية الحيوانات المهجنة ورعايتها، مع مسئوليتها عن المنزل وأطفالها. وفي مجتمع البحر وصيد الأسماك، فإن الرجل يتضح دورة في عملية الغوص علي اللؤلؤ والخروج بما يقارب من 4 شهور في السنة في عرض البحر لهذه المهمة، وهو مسئول عن التجارة الخارجية، وصيد الأسماك بشباك أو بالسفن وغيرها من المهن، بينما المرأة قد تعمل في بعض المهن الصغيرة كالحرف، والتجارة الداخلية، كبيع الملابس وبعض الاحتياجات المنزلية، بالإضافة إلي مسئوليتها عن المنزل بشكل كبير وخاصة في ظل غياب الرجل عن المنزل لفترات طويلة في العمل أو عند رحلات الغوص التي تستغرق ثلث العام.

فهناك أدوار اجتماعية محددة، وهذه الأدوار خلفت مكانات اجتماعية جعلت من الرجل هو المسيطر علي الأسرة بحكم انه هو المسيطر علي وسائل الإنتاج، وأن الرجل هو من يقوم بالمهام التي ترجع بالعائد المادي المباشر للأسرة. فهذا لا يعني عدم وجود دور للمرأة في عملية الإنتاج، وهو من يقوم بالمهام التي ترجع بالعائد المادي المباشر للأسرة. وهذا لا يعني عدم وجود دور للمرأة في عملية الإنتاج، إلا أن الدور المباشر قد يكون من نصيب الرجل، وفي الوقت نفسه يعتبر دور المرأة في عملية الإنتاج مكمل وأساسي لدور الرجل. فالأدوار الاجتماعية تتحدد مع تحديد النشاط الاقتصادي للمجتمع، وتتحدد طبيعة المجتمع من البيئة الطبيعية التي تحيط به، والتي تفرض علية نشاطاً اقتصادياً محدداً، يرتبط بسلوك إنساني في النهاية يشكل ثقافة المجتمع.

ـــــــــــــــــــــــــــــ انتهـــــــــــــــــــــــى ـــــــــــــــــــــــــــــ

مع التمنيات بالتوفيق

د. عبير سرور